كنانيش 3 -منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة - ص: 159-169

جوانب من الحياة الاجتماعية في مدينة بناصا

محمد لعيوض
Mohamed LAAYOUD

تقع بناصا على الضفة اليسرى لوادي سبو، تمت مطابقتها منذ نهاية القرن التاسع عشر مع سيدي علي بو الجنون، وتبعد ب 17 كلم عن مدينة مشرع بلقصيري، و30 كلم عن المحيط الأطلسي، وهي إحدى المستوطنات الثلاث التي أقيمت في المغرب ما بين 33 و27 قبل الميلاد.

سنحاول في هذا الموضوع، رصد بعض جوانب الحياة الاجتماعية لهذه المدينة وذلك من خلال اللقى، وخاصة ما ارتبط منها بالنقائش.

لقد شكل الإسم عنصرا مهما في تحديد مكانة وقيمة الشخص في المجتمع[1]، إنه علامة لتحديد ثلاثة مستويات: الأصل الإثني، الوضعية القانونية و الاندماج.

لقد كان المواطنون يحملون اسما ثلاثيا(Tria nomina) يتكون من إسم شخصي وعائلي وكنية، أو إسم عائلي روماني، يليه إسم يمكن أن يطابق كنية، أما المغترب فيحمل إسما واحدا فقط يطابق في وظيفته الكنية وإلى جانبه إسم الأب في صيغة المضاف إليه.[2] وقد جرت العادة أن يحمل الأشخاص الذين حصلوا على حق المواطنة الرومانية إسم الإمبراطور، إلا أنهم في حالات اخرى كانوا يحملون أسماء مختلفة، مثل إسم حاكم الإقليم، أو إسم الشخص الذي يتوسط لهم في الحصول على هذه المواطنة، سواء أكان هذا المواطن حرا أو عبدا معتقا، ويمكن أن نضيف كذلك في هذا الصدد تبني إحدى العبادات الرومانية والتي تعتبر عربونا للتعبئة والارتباط بروما. ولقد اعتبر بعض الباحثين أن تبني هذه الأسماء الرومانية يكون أولى إرهاصات الرومنة.[3]

وسواء كانت هذه الكنى لاتينية أو إغريقية، فإن حملها مرتبط بالوضعية الاجتماعية والإثنية للشخص[4]. فإلى أي حد يصدق هذا القول، سيما إذا اعتبرنا مع ج. ماريون[5] أن الأسماء التي يصعب تحديدها قد تكون

أسماء رومانية تبناها السكان المحليون ، خاصة وأن روما تركت لهؤلاء حرية اختيار الأسماء التي يرغبون فيها، أو الاحتفاظ بالأسماء المحلية.

إضافة إلى هذا ، فإن الكنى مرتبطة بأسماء إفريقية أو بونية مشتقة عموما من أسماء الآلهة التي ثم نقلها إلى اللاتنية، على صيغة إسم المفعول، لأسماء مرتبطة بأفكار عرفت انتشارا على عهد الإمبراطورية ، والتي تعبر عن السعادة أو الترف أو التفوق مثل : بريموس ، سوكوندوس، فورتوماتوس،أو ماكسموس . فما هي الفئات الاجتماعية التي شكلت ساكنة بناصا من حيث وضعيتها الإثنية وتمايزها الاجتماعي؟.

نشير في البداية إلى أن الوثائق المعتمدة في هذا السياق تهم الفترة الرومانية، إلا أننا لا نعتمدها في تعداد الساكنة لأن ذلك يعتبر ضربا من المستحيل لاعتبارين :

أولهما عدم التوفر على معطيات مباشرة حول السكان المحليين، وثانيهما أن المساحة التي شملتها الحفريات لا تمثل المساحة الفعلية للموقع ، لذا فإن اعتماد هذه الوثائق المتمثلة في شهادات عسكرية ونقائش ذات طبيعة دينية ، عبارة عن إهداءات مقدمة للآلهة والأباطرة ، كما قد تهم حماية لسكان بناصا من طرف بعض الشخصيات السامية ، إضافة إلى قطع ترد عليها بعض الأسماء.

إن الهدف من ذلك هو الوقوف، بالدرجة الأولى ، على التركيبة الاجتماعية ووضعيتها الإثنية ووظائفها ، وسنعمد فيما يلي إلى تصنيف هذه الساكنة في أربع مجموعات : أفارقة، ومشارقة، وأوربيون ، ثم أسماء يتعذر تحديد أصلها ، ونذيل لذلك باستنتاجات عن كل فئة من حيث مدى تمثيليتها على وثائق المدينة ، وكذا وظائفها الاجتماعية .

ضمن هذا الاهتمام لا بد من التمييز بين فترتين : فترة ما قبل رومانية وفترة رومانية.

ساكنة بناصا خلال الفترة ما قبل الرومانية

إن المعطيات التي نتوفر عليها في شأن ساكنة بناصا خلال الفترة ما قبل الرومانية تبقى في غالبها شبه منعدمة، إلا ما كان من أمر النقيشتين اللتين أوردهما كلان GALAND في مجمعه ، و اللتين تخصان شخصا ليبيا يدعى شنان (SNN)[6] .

فقد وجد هذا الإسم منقوشا على قطعتي فخار في الفرن رقم 1 سنة 1955 ،غير أن الاعتماد على بعض اللقى الأثرية قد يمكننا من تلمس

وجود ساكنة محلية من خلال وجود خزف محلي مصبوغ بزخارف متنوعة ، تمت الإشارة إلى مثيلات لها على قبور ليبية ، وإذا أضفنا إلى قطع هذا الفخار المصبوغ تعدد الأفران في موقع بناصا ، فإن ذلك يقودنا إلى الحديث عن وجود ساكنة محلية تعاطت هذا النشاط الحرفي خلال هذه الفترة من تاريخ الموقع ، علاوة على هذا يمكن أن نضيف بعض الحلي الذهبية التي تم الكشف عنها خلال الحفريات التي عرفها الموقع ، والمتمثلة في رصيعة من ذهب وأقراط تعود إلى القرن السادس والخامس قبل الميلاد[7].

ساكنة بناصا خلال الفترة الرومانية

من خلال جرد النقائش التي وجدت بالموقع، يلاحظ اختلاف في العدد بالنسبة لكل مجموعة ، فالأفارقة يمثلون نسبة 13. 39 % ، يليهم الأشخاص الذين صعب تحديد أصلهم بنسبة 33.33 % ، ثم المشارقة، حيث كانت أغلب النقائش التي وردت عليها أسماء هؤلاء، هي عبارة عن شهادات عسكرية وعددهم تسعة ، يمثلون 04. 13 % من مجموع السكان، وفي الأخير نجد الأوربيين بنفس النسبة .

إن أهم ما يسجل بالنسبة للأفارقة ، هو سيادة بعض الكنى مثل ساتورنينوس . وقد سبقت الإشارة إلى المدلول الروحي لهذه الكنية ، مما يعكس أن أغلب الأشخاص الذين يحملونها هم محليون . على أن مسألة هذه الكنى الإفريقية قد تناولها عدد من الباحثين بدءا من مومسن MOMSEN وه. ج. بفلوم PFLAUM(H.G) ولوبويك LEBOHEC(Y ، فقد أشار ه.ج.. بفلوم إلى أن عددا من الأسماء اللاتينية مترجمة من البونية ، إلا أن لوبويك يخالفه الرأي باعتبار أن بعض الأسماء المترجمة من البونية توجد في كل أقاليم الإمبراطورية الرومانية[8] .فإذا كان ج.ج.هات HATT(J.J) قد اعتقد مثلا أن ساتورنينوس يشير إلى أصل غالي[9]، فإن ج.ماريون MARION(J) اعتبر أن الأشخاص الذين يحملونه محليون[10] ، وذلك طبعا باعتماد مدلوله الديني ، غير أن وجود كنى مثل ساتورنينوس ،فورتوناتوس ،و سوكوندوس، والتي يحملها سكان بناصا ،والمنتشرة كذلك في إفريقيا ، حيث تم اختيارها من بين كل الأسماء العائلية اللاتينية، هو مؤشر يؤكد أنها لم تكن من أصل إيطاليكي، كما دافع عن ذلك بعض الباحثين[11]. ويصل عدد الذين يحملون كنية ساتورنينوس في بناصا ثمانية أشخاص .أما الأشخاص الذين يصعب

تحديد أصلهم فعددهم ثلاثة وعشرون ، وبالنظر لهذا العدد المرتفع ، فمن الجائز أن يكون بعض هؤلاء ، محليين، تبنوا أسماء ذات تركيبة رومانية .

أما بالنسبة للمشارقة فقد أكدت العديد من النقائش لاتينية أو إغريقية، انتشار هؤلاء في كل إقليم موريطانيا الطنجية[12]. نظرا لانخراطهم في سلك الجندية ، ونضيف إليهم كذلك التجار المشارقة في بتيكا، بالتالي فوجودهم في موريطانيا الطنجية كان نتيجة للعلاقة بين الإقليمين، والتي تتجلى مظاهرها في عدة ميادين .

من خلال جدر النقائش يتبين أن عدد هؤلاء تسعة أغلبهم جنودا، من أصل سوري، ويبقى توزيع هؤلاء المهاجرين ليس في بناصا فحسب، بل في كل موريطانيا الطنجية مرتبط بعدد النقائش التي تم الكشف عنها ، إذ مقارنة مع وليلي، فإن العدد يصل إلى خمسة وعشرين شخصا ، في حين أنه في تينجي ينحصر في ستة أشخاص، ولا يتعدى شخصين في سوير، وشخصا واحدا في ليكسوس[13].

أما بالنسبة للمجموعة الأوربية، فعددها يماثل عدد المشارقة منهم: أربعة إيطاليين وثلاثة داسيين وإسباني واحد ودانوبي واحد.

إن ما نستنتجه من هذه النسب هو محدودية عدد هؤلاء مقارنة مع ساكنة وليلي حيث نجد تسعة إيطاليين وأربعة عشر إسبانيا وبيتيكيا واحدا . وما يمكن الإشارة إليه بالنسبة لهذه الساكنة الأوربية هو انحصار عدد الإسبانيين في شخص واحد يمثل في أنطونيا ماكسيما زوجة ماركوس أنطونيوس ماكسموس، وهو نفس ما يلاحظ في وليلي بالنسبة للبيتيكيين الذين لا يتجاوز عددهم واحدا ، وهي ملاحظة تطال كذلك باقي المناطق الأخرى كسلا وطنجة [14]، على الرغم من قرب وارتباط هذه المستوطنات الموريطانيية بالبيتيك . وتشمل هذه القلة كذلك العنصر الغالي ، وهو ما قد لا يعكسه تطور العلاقات التجارية خلال فترة محددة. نشير في هذا الإطار، إلى وجود أربع لوحات حماية تتعلق بحماية منحتها بعض الشخصيات التي تقلدت بعض المناصب السامية ، كوظيفة بروكوراتور، لساكنة بناصا وبطلب منها ، وإن عدم ذكرنا لأسمائهم كسكان لهذه المدينة يعزى إلى أننا لا نتوفر على ما يثبت إقامتهم فيها ، إذ يحتمل أن سكان بناصا كانوا تحت حمايتهم دون أن يكون لهم اتصال مباشر بهم .

ومن مجموع هذه النقائش والتي شملت أسماء إفريقية أو شرقية أو أوروبية أو غير محددة يمكن التعرف أحياناعلى الوضعية الاجتماعية لهؤلاء:

	أفارقة	مشارقة	أوربيون	غير محددين	مجموع
أرستقراطة			1	1	2
دومفير	3		1	3	7
دوكوريون				1	1
ضابط عون			1		1
ليغا	5		1	2	8
جنود متقاعدون	1	4		1	6
معتقون			3	3	
المجموع	9	4	4	11	28

يتضح إذن من خلال هذا الجدول ، أن أغلب هؤلاء كانوا جنودا .
وعموما إذا كانت هذه النقائش تغطي كل الشرائح الاجتماعية بدءا بالموظفين السامين وانتهاء بالمعتقين، وتزودنا بأسماء هولاء ، فإنها لا تعرفنا بمكان ميلاد الكثير منهم ، ولا بأسماء آبائهم ، وهل هم رومان أو مرومنون ، وذلك خلافا لما نجده في وليلي حيث النقائش مختلفة ومتنوعة تمكن من تحديد أصل السكان ووضعيتهم الاجتماعية، وعلاقاتهم العائلية، وكذا حتى مؤشر الوفيات بالمدينة.
وإذا كانت هذه النقائش تساعد على تحديد الأصل الإثني عن طريق الكنية أو تشير إليه ، فإن عددا كبيرا منها يظل عبارة عن قطع صغيرة لا ترد عليها هذه المؤشرات، الشيء الذي يطرح صعوبة في التحديد.

المشاركة	الوثيقة	الأصل	الوضعية	ملاحظات
-ماركوس انطونيوس ماكسموس M.Antonius Maximus	2.239 IAM..	سوري	جندي متقاعد	
Maximus ماكسموس		سوري		ابن ماركوس انطونيوس ماكسموس
Maxima ماكسيما		سورية		ابنـــــــــة
Bargates بارغاطس	2.235 IAM.	سوري	جندي متقاعد	
Lulia Deisata				زوجة برغاطس
Zena زينا				ابنة برغاطس
Sura سورا				
Satturminusساتورنينوس				ابن برغاطس
Domitius دوميتوس	IAM.2.284		فارس	
Thrace تراس			جندي	مجهول الأصل

أفارقة	الوثيقة	الأصل	الوضعية	ملاحظات
- لوكنوس فلافيوس ساتوريتوس		IAM.2.125		ليفا Legat
ومبيو ساتورننوس Pompeius Saturrninus	IAM.2.87			
فالبريافورتونا Fortuna			زوجة بومبيوس	ساتور نينوس
تبريوس كلاوديوس ساتورننوس Tibenus claudius Sattuminus	IAM.2.93		دومفير	

- كوانتوس ابوليوس مارسياليس Q.JulLius Martialis	IAM.2.125		ليفا Legat	
ماركوس دوميتوس تانجتانوس M.Domitus Tingitanus	IAM.2.125		دومفير	
لوكوسس كايكليوس كالفوس Cacalis Calvas	IAM.2.126		ليفا Legat	
لوكيوس سالوستيوس سنيكس.	من قبيلة فابيا 12.126 IAM.	من قبيلة فابيا 12.126 IAM.	من قبيلة فابيا 12.126 IAM.	

L.Sallustius senex		ايطاليا	(Legat)	
ماركوس بوبلوس ساتورنينوس M.Publis Satturninus	IAM.2.2 41	تينجي	جندي متقاعد	
– باكاتوس -Pacatus	IAM.2.1 33			
– فالبرباساتورينا Valena Satumina	IAM.2.1 33		زوجة باكاتوس	
– لوتيانوس Lutianus	IAM.294			
– زدينا Ziddina	IAM.294	زغرنسية	زوجة يوليانوس	
– اورلبوس بولبانوس Aurelius	IAM.294	زغرنسي	–زعيم الزغرنسيين ابن يوليانوسوزدينا	
– فكورة Fagura		زغرنسية		
– ييوليان Luliana		زغرنسية		
– مكسيما Muxima		زغرنسية		
– لوليانوس Lulianus		زغرنسي		
– ديوجنيانوس Diogenianus		زغرنسي		
– كوانتوس كايكيليوس Q.Caecilius	IAM2.1 38			
– ساتورنينوس Satturninus	IAM.2.2 41			– ابني

				ماركوس بوبليوس ساتوريتوس
PRISCIANUS بريسكيانوس	IAM.2.241			
- بومبيافاليرينا Pompia Valerina - فورتونا فورتونا Fortuna	IAM.287			ابنة بومبيوس ساتورنينوس وفالبري
ك. لوليوس روغاتوس C.Iulius Rogatus	IAM.2.128		ليفا (Legat)	
-ديكيموس ايوفتيوس ساتورنينوس Dec. Luventius Saturninus	IAM.2.125		ليفا (Legat)	
- تييريوس كلاوديبيوس ايوليانوس T.clauchius Lulianus -		IAM.2.93		دومفير

-ساتورنينو Saturnino	IAM.2.135			
الأسماء الأوروبية	الوثيقة	الأصل	الوضعية	
- ماركوس بولانوس M. Bolanus	IAM.2.124			
لوكيوس كالفوس L. Caeciluis Calvus	IAM.2.126		ليفا(Legat)	
- دكاستريسيوس C.Castricius	IAM.2.95	إيطالي	دومفير	
-كايكيليا ماكرينا IAM.2131 Caecilia Macrina			زوجة ليبو	وام اولبيا موديستا
فاليريا Valeria Messia	IAM.2.239	إسبانيا		زوجة برغاطيس
-ك. فالبريوس باترنوس C.Valeruis PATEMUS	IAM.2.85		جندي متقاعد	

ل – انطونيوس فالانس L.antonuis Valens	IAM.2.86			.
– اوريليا سكوندا IAM.2.131 Aurelia Secunda	-ايطالية		ل. اغناتيوس	تنتمي الى الطبقة الارستقراطية
–سابنوست Sabinus				

الأسماء المجهولة	الوثيقة	الأصل	الوضعية	ملاحظات
لوكيوس اغناتيوس اوكتافيانوس L.Egnatuis Octavianus	IAM.2132		استقراطي بناصي	
– كوانتوس ايونيوس غا(..) Q.TUNISG.	IAM.2.95		دومفير	
–لوكيوس انطونيويس سوسبيانوس L.Antoniu Sosibianus	IAM.2.100		دومفير	
أبومبيوكاسيانوس A.pompeius cassianus	IAM.2.100		دومفير	
–أيوليا كريسبينا Julia crispina	IAM.2.145			
–فليريا مليسا Valeria Mellissa				
– ليبو Libo	IAM.2.131			
– اولبيا مودستا ulpia Modesta				

-ترانتيا مارســيانا Terent Marciana	IAM.2.88			
-تـــبريوس ابوليـــــوس مركاوريـــالوس T.Lulius Mercualis				
-سيكس ساينيوس كايكليانوس Sex Sacnius caccilianus	IAM.2.125		ليفا (Legat)	
-ايوليوس سوســوس Iiulius Sosus	IAM.2.146			
-كينطو كايســيو ؟فيكتــور .. سابنيانو I.CaesioVictori Sabiniano	IAM.2.139			
-كـــابوس بومبيـــــــوس ماســـكولوس C.pompeius Masculus	IAM.2.128		ليفا (Legat)	
- رابتوس Raptus	IAM.2.122			
-مــــاركيوس ترنتيـــــوس بريمولـــوس M.Terentius primulus	IAM.2.188		معتــق	
-لوكيوس انطونيوس كاريطو L.Antonius charito	IAM.2.286		معتــق	
-ابوليــوس ســيمو Aclius Scimo	IAM.2.130		معتــق	
-لوكيوس Lucius	IAM.2.140			
-داكيوس Dacius	IAM.2.240			
-تراكوس Tracos	IAM.2.236		جندي متقاعد	
-كوانتـــوس فلافيـــوس Q.Flavius	IAM.2.140			
- ماركوسايوليوس M.Iulius	IAM.2.141			

المراجع

1- ALFOLDY(G)..*Note sur la relation entre le droit de cité et la nomeclature dans l'empire romain, dans latomus*,25. fasc 1. Janvier - Mars. 1966 p.34.
2- BENABOU(M) La résistance africaine à la romanisation. Paris 1976.
3- DONDIN-PAYER(M). *Recherche sur un aspect de la romanisation de l'Afrique du Nord : L'expansion de la citoyenneté romaine jusqu'à Hadrien*, dans ANT. Afr. , t. 17. 1981. p. 95.
4- LASSERE(J.M). *Ubique populus, peuplement et mouvement de population en romaine de la chute de Carthage à la fin de la dynastie des severes(146Av. - 235Ap.J)*, Paris.p.441.
5- AKERRAZ(A).TRAUSZKAUSKI(E). *De la déléctation dans l'empire romain aux villes impériales, 6000 ans d'art du Maroc*, Paris. 1990. p. 116.
6- MARION(J).Note sur le peuplement de Banasa à l'époque romaine. dans Hespéris t.37. 1950.p. 171.
7- GALAND(l). FEVRIER(J). WAJDA(J). *Inscriptions du Maroc*, Paris. 1966.p. 103.
8- LEBOEC(Y).Le troisième Auguste.Paris 1989. p. 518.
9- ID. Ibid.. p.517.
10- MARION(J). *La population de Volubilis à l'époque romaine*. dans B.A.M..4. 1960.p.163
11- ID. Ibid.. p.136.
12- EUZENNAT(M).*Grecs et Orientaux en Maurétanie tingitane*. dans ANT. Afr.. 15. Paris 11971. p. 161
13- *ID. Ibid.*. p. 171-173
14- MARION(J). *La population de Volubilis*. p. 167.